

المال والثروة



<https://balagh.com>

وأَمّا الثروة، فهي الكثير من المال، ويُراد بها في المفهوم الاقتصادي "كل ما يرضي حاجة الإنسان أو رغبته من الأموال القابلة للتملاك والتقويم. ولقد حفل الكتاب الكريم بآيات المال والثروة بالنظر لأهمية هذه القضية التي شغلت الإنسان أيّما إشغال لما ورد في القرآن من أنّ "الإنسان يحب" المال حبّاً جمّاً (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمَّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) (الفجر/ 19-20)، وقوله تعالى: (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الرِّحَمَةِ لَشَدِيدٌ) (العاديات/ 8)، فلنعرض لمنظور القرآن للمال أوّلاً، ثم لنستلّ منه الرؤية القرآنية لأهم قضية احتلت وما تزال تحتل الاهتمام الأوّل عند الغالبية العظمى من الناس.

1- المال.. مال الله تعالى:

قال سبحانه (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِهِ الَّذِي آتَاهُمْ) (الذُّور/ 33).

2- المال.. إستخلاف الانسان فيه:

قال عزّ وجلّ: (وَأَنْفَقُوا مِمْمَا جَعَلَهُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَاللَّذِينَ آمَدُوا مَذْكُومٌ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) (الحديد/7).

مُسْتَحْلِفِينَ: أي وكلاء في إجرائه وتوظيفه وإنفاقه في المصارف السليمة التي ذكرها الله لكم في كتابه.

3- المال.. زينة:

قال جلّ جلاله: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةٌ الْجَيَّاتُ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا) (الكهف/46).

والزينة كلّ ما يُتزين به من ملابس وحُليّ وغيرها، وقيل هي كلّ ما يفاخر به الانسان في الدنيا من مال وأثاث وجاه.

4- المال.. موضع ابتلاء:

قال تعالى: (وَلَنَذَبِّلُ وَنَزَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشَّرَ الصَّابِرِينَ) (البقرة/155).

5- المال.. لا يُغني عن الدين والإيمان:

قال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ رُغْنَتِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ أَهْلِ شَيْءٍ) (آل عمران/ 10).

6- المال.. الإنغال به عن ذكر الله:

قال عزّوجلّ: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ازْفَاهُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدُكُمْ أَهْلَ خَيْرٍ مِنْ الْتَّاهُورِ وَمِنَ التَّجَارَةِ وَإِنَّ خَيْرَ الرِّزْقِ ازْقِينَ) (الجمعة/ 11).

وقال جلّ وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُطْهِرُكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المนา فقون/ 9).

7- المال.. النهي عن إنفاقه رباءً:

قال تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنَنِ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْدِفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِهَا وَالْيَوْمَ الْآخِرُ فَمَمْتَلِئُ كَمْتَلِئُ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابْلُ فَتَرَكَهُ صَدَدًا لِيَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمْمَا كَسَبُوا وَإِنَّمَا يَهْدِي إِلَيْهِمُ الْكَافِرُونَ) (البقرة/ 264).

8- المال.. الأمر بإنفاقه في وجوه الخير:

قال جلّ جلاله: (وَلَكُنْ الْبَرُّ مَنْ آمَنَ بِهَا وَالْيَوْمَ الْآخِرُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْكِتَابُ وَالنَّبِيُّونَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبُّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ (البقرة/ 177).

ومن وجوه الخير إنفاقه في الجهاد في سبيل الله، وإنشاء مشاريع خيرية، وتسييله في مجرى الاقتصاد وعدم احتكاره وتجميده في أرصدة بنكية لينتفع به التاجر والثري والعامل الفقير، قال عزّوجلّ:

(وَالْأَذْدِينَ يَكُونُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْهَقُونَهَا فِي سَبِيلِ إِلَهَشِرْهُمْ بِرَعَادَابِأَلْيِمِ) (التوبه/ 34).

9- المال.. النهي عن البُخل به:

قال تعالى: (الْأَذْدِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ إِنْ فَصَلِّهِ وَأَعْتَدْنَاهُ لِتُكَامِرُونَ عَذَابًا مُّهِينًا) (النَّسَاء/ 37).

10- المال.. تحريم أكله بالباطل (الرسوة):

قال عزّوجلّ في الرسوة: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَذَكُومْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكْمَ لِتَأْكُلُوا فَمَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة/ 188).

وقال سبحانه وتعالى في الاستيلاء على أموال اليتامي: (إِنَّ الْأَذْدِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى طُلْمَمَا إِنْزَمَمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ زَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (النَّسَاء/ 10).

11- المال.. النهي عن المرابة به:

قال عزّ وجلّ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَّا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأَذْنُوا بِحَرْبِهِ مِنْ أَنْ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْدِتُمْ فَلَا كُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلِمُونَ) (البقرة/ 278-279).

12- المال.. النهي عن الإعجاب بثراء الآثرياء:

قال تعالى: (وَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهِقَ أَرْضَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) (التوبه/ 85).

13- المال.. النهي عن التفاخر به:

قال عزّ وجلّ عن صاحب الجنة (البستان): (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاجَّا وَرُهْ أَرْدَأَ أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزَّ زَفَرًا) (الكهف/ 34).

وقال سبحانه: (إِنَّمُوا أَرْضَمَا الْجَيَّاتُ الدُّرْيَا لَعِبْ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَزَفَارٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلُ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ زَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِطُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) (الحديد/ 20).

وقال جلّ جلاله على لسان قارون الذي زعم أنّ ما لديه من أموال طائلة وثروة هائلة هي من عنده، ونتيجة لجهده وذكائه وليس من عند الله تعالى وفضله: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِهِ أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) (القصص/ 78).

14- المال.. حرية التصرف فيه:

قال تبارك وتعالى عن أهل مدين: (فَالْأُوْلَا يَـا شَعَـبِـبُ أَصَـلَـاتُكَ تَـأْمُـرُكَ أَـنْ زَـتَـرُكَ مَـا يَـعْـبُـدُ آبَـاـؤُـنَـا أَـنْ زَـفَـعَـلَ فِـي أَـمْـوَـالِـنَـا مَـا زَـشَـاءُ) (هود/ 87)؛ لكنه لا يجوز للسفيه الذي لا يحسن التصرف بأمواله أن يترك يُبذّر ويهدّر ويتلف أمواله، بل يجب حجر المال ومنعه عنه: (وَلَا تُؤْتُوا السُّـفَـهَـاءَ أَـمْـوَـالَـكُـمُ الـَّـتِـي جَـعَـلَ إِلَـيْـكُـمْ قِـيمَـاـمـا وَـارـزـقـوهـمـ فـيـهـا وـاكـسـوـهـمـ وـقـولـوا لـاهـمـ قـوـلاـمـعـرـوفـاـ) (الذـسـاءـ/ 5)، أي إنـ الذي يتصرـفـ بـمالـهـ وـينـفـقـ مـنـهـ عـلـيـهـ العـاقـلـ مـنـ ذـوـيـهـ.

15- المال.. الحقوق المفروضة فيه:

قال عزـوجـلـ: (وـفـي أـمـوـالـهـمـ حـقـ لـلسـائـلـ وـالـمـحـرـومـ) (الذـارـياتـ/ 19).

والسائل المستعطى أو المستجدي، والمحروم هو الفقير المعدم.

وقال جــلــ: (خــذــ مــنــ أـمــوـالــهــمـ صــدــقــةــ تــطــهــرــهــمـ وــتــزــكــهــمـ بــهــاـ) (التوبة/ 103).

من هذا الاستدلال القرآني يمكن أن نخلص إلى الآتي من النتائج القيمية المترتبة على أهمية المال في حياتنا:

1- المال رزق، والرزق يجب أن يسعى إلى كسبه بالطريق المشروع (الحلال) لا بالاستغلال (وـأـنـ لـيـسـ لـلـإـنـسـانـ إـلـاـ مـاـ سـعـىـ) (النجم/ 39)، ولذلك نبهـ القرآنـ إلىـ أنـ الكذـبـ والغشـ والتدليسـ والاختلاسـ والسرقةـ والتزويرـ ليسـواـ منـ الرزـقـ فيـ شيءـ، قالـ تعالىـ: (وـتـاجـعـلـونـ رـزـقـكـمـ أـزـكـمـ تـكـذـبـونـ) (الواقعةـ/ 82).

مثـلـماـ حـذـرـ تحـذـيراـ شـدـيدـ اللـهـجـةـ منـ السـرـقةـ حتـىـ أـنـهـ جـعـلـ عـقوـبةـ السـارـقـ -ـ ضـمـنـ شـرـوـطـ معـيـنةـ -ـ قـطـعـ يـدـهـ الـيـمـنـىـ منـ الأـصـابـعـ كـيـلاـ يـعاـودـ السـرـقةـ، ولـكـيـ يـكـوـنـ عـبـرـةـ لـمـنـ يـعـتـبـرـ، قالـ عـزـوجـلـ: (وـالـسـارـقـ

وَالسَّارِقَةُ فَإِنْ طَعُوا أَيْدِيهِمَا) (المائدة/ 38)، ويقول صاحب (الطريق إلى السعادة): "الانسان الذي يعجز لسبب أو لآخر عن الحصول على الأموال والأملاك بصورة شرعية، يمكنه أن يدعي أن الأشياء ليست ملكاً لأحد؛ ولكن جرب أن تسرق حذاءه وانظر ماذا سيفعل؟ إن اللص يملأ الجو حوله بالغموض، فالكل يبدأ بالتساؤل: أين اختفى هذا؟ وأين اختفى ذاك؟ إنّه يُسبّب من المتابعة والمشاكل أكثر بكثير من قيمة ما يسرقه".

"إنّه - والقول ما يزال له رون ها برد) - يتخيّل أن سرقتها يجعله يحصل على شيء قيم بتكلفة زهيدة، وهذه هي المشكلة الأساسية: التكلفة! والحقيقة أن السعر الفعلي الذي يدفعه السارق سوف يكون أعلى بكثير مما يعتقد، فأكثر اللصوص في التاريخ قد دفعوا ثمناً باهضاً لغناهم، ذلك بقضاء حياتهم في المخابئ البائسة أو السجون، ولا يحطون إلا بلحظات نادرة فقط من الحياة المرفهة، إنّه ليس هناك شيء في الحياة، مهما كان ثميناً، يمكن أن يُعوّض قضاء العمر خلف القضبان، كما أن قيمة المواد المسروقة تتناقص بشكل سريع، لأن المسروقات يجب أن تخفي عن العيون، كما إنّها تُشكّل في حد ذاتها تهديداً لحربيّة السارق نفسه" [1].. ولأنّه لم يتعب في اقتنائها، فإنّه أزهد الناس بقيمتها، لذلك يبيعها أحياناً بأتفه الأسعار!

2- المال بكل مفراداته من بناء الثروة، والحصول على المقتنيات، والعيش برفاهية، محظوظ بشري، قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَحُبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) (العاديات/ 8)، قوله سبحانه: (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمِّا) (الفجر/ 20)، والسعى لاكتسابه بالطرق المشروعة مطلوب: (فَامْشُوا فِي مَدَارِهَا وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك/ 15)، وقال سبحانه: (وَالْأَرْضَ وَصَاعَهَا لِلأَنَامِ) (الرّحمن/ 10)، أي مُسخّرة للناس، وليس المشكلة في أن يُنمي الإنسان ثروته، وإنما هي في إغفال الخسائر التي يتكبّدها من أجل ذلك، عندما يكون جمع المال غايةً بذاته، وعندما يصرف الإنسان عن تحصيل رصيده الثقافي والمعرفي والاجتماعي والأُخروي، وعندما يمنع ماله من السيولة والتداول، وعندما يجمع لغيره تكون عليه التبعية وللمستمتع بتركته المهذّب، يقول الإمام علي (ع): "مَنْ رزقَه إِنْ مَالًا وَجَمَالًا فَعَفَ" في جماله، وواسى في ماله، كتب في ديوان الأبرار" [2]، وقد يكون حبّ المال من الآخرة إن وظّف في الإنفاق على الذات والأهل والأقارب والمحتججين، وبذل في الأعمال الخيرية، بل حتى في بناء المشاريع النافعة التي تدر على صاحبها ربحاً، وتُمكّن الكثير من العمل والتشغيل.

وقد ورد في المرويات عن الإمام علي (ع): "أفضل الأموال أحسنها أثراً عليك" [3].. وإذا كان بعض الناس

يقول بأنّ "المال هو جواز سفر عالمي يسمح لحامله الذهاب إلى كلّ" البلاد خلا السماء، وهو يجلب كلّ شيءٍ خلا السعادة، فإنّنا نقول: نعم، يُسمح له بالدخول إلى السماء أيضاً إذا وُظِف في تنمية الحياة، وإعانة المحرّمين، بل ويجلب السعادة للسبب نفسه!

إنّ الذي جعلنا وكلاء مستخلفين بالمال والثروة والمواهب والممتلكات، وهو الله تعالى، هو نفسه الذي جعل جزءاً مما نملكه حقّاً للسائل والمحروم، ولذلك يضرب لنا مثلاً في قصة أصحاب الجنّة (البستان)، والآيات من سورة (القلم) وافية شافية في تصوير قصة البخل وحرمان المساكين من حقوقهما التي افترضها الله تعالى في أموال الأغنياء.. تأمّل!

(إِنَّمَا بَلَّا وَرَاهُمْ كَمَا بَلَّا وَرَاهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ إِذْ أَفْسَمُوا لَيْلَةً صَرْمَدَهَا مُصْبِحَيْنَ * وَلَا يَسْتَدِّنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ زَائِمُونَ * فَأَمْصَبَهَا كَالصَّرَى يَمْ * فَتَدَادَ وَمُصْبِحَيْنَ * أَنَّ اغْدُوا عَلَيْهِ حَرْثَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمَيْنَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَّوْنَ * أَنَّ لِيَدُ خُلَّتَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكَيْنَ * وَغَدَوْا عَلَيْهِ حَرْدِيَ قَادِرَيْنَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّمَا لَهُنَّا لَهَّتَالُونَ * بَلْ رَجُونُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَاطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبِّحَانَ رَبِّنَا إِنَّمَا كُنْدَهَا طَالِهَيْنَ * فَأَقَوْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ بَعْضٌ يَتَلَوَّمُونَ * قَالُوا يَا وَيَلَّنَا إِنَّمَا كُنْدَهَا طَاغَيْنَ * عَسَى رَبِّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّمَا إِلَيْهِ رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (القلم / 33-17).

قرّروا وببيّنوا أن يمنعوا المساكين حقوقهم فحرّمهم الله من نعمة البستان كلّه، وهو قادرٌ على أن يطمس الأموال والثروات ويختفي بها الأرض كما فعل بـ(قارون). وفي الأمثال الفارسية مثلٌ طريف لعله مستوحى من جوّ القصة القرآنية: "في زمن الغلال يُهابُ البستاني" بالمعنى [4].

3- وقد رأى الله تعالى للناس أرزاقهم، وقد يُوسّع وقد يُضيق لحكمة، وقد يكون ذلك نتيجة لسعى الإنسان وتحميشه.. أمّا أن تمتدّ يد الغني للاستيلاء على رزق الفقير إمّا بسبب سلطته وسلطته وقدرته على استضعافه، وإمّا لرغبته بزيادة ما عنده من ثروة ليزداد غنىًّا على غنى وإن جرّد الفقير من القليل الذي عنده، وتلك هي قصة الاقتصاد العالمي بين دول الشمال الغربي المستكبرة والسيطرة على ثروات الشعوب في العالمين الثاني والثالث، وقصة هذه المُكبّلةة بديونها التي لا تتمتّع إلا بالففتات من ثرواتها، والقرآن يضرب لنا مثلاً عن ذلك في قصة الأخوين صاحبِي النعاج اللذين جاءا داود

(ع) يحتكمان لديه في فض منازعة الغني صاحب النعاج الـ(99) مع أخيه الفقير صاحب النعجة الواحدة، إذ حاول إجباره على التنازل له عن نعجه ليتصبح نعاجه مئة كاملة، ولم يُفکّر في أن يعطى نعاج أخيه ليتصبح نعاجه عشرة عشرة كاملة، بل ولم يُفکّر في أن يعطيه نعجة واحدة ليتصبح لديه نعجان.. لاحظ استكبار النفوذ وسطوة الثراء وطغيان الجشع.. تأمّل النص القرآني المُفصّح عن هذه الواقعة) التي لها نظائر كثيرة في (الواقع): (وَهَلْ أَتَاكَ زَبَأً الْخَصْمُ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَوْدَ فَفَزَعَ مِنْهُمْ فَالْأُولُوا لَا تَخَافُ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَاهْكُمْ بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الْصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخْيَلَهُ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً وَلَيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلَنْدِيهَا وَعَزَّزَ نَبِيَ فِي الْخُلُطَابِ * فَقَالَ لَقَدْ طَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَةٍ إِلَى نَعْجَهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلُطَاءِ لَيَأْبُغُ فِي بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَاتَلُوا مَا هُمْ [ص/ 21-24] .. ولو درسنا طاهرة الاستكبار دراسة اجتماعية لرأينا أنّ منشأها أنّ منشأها الاستغلال.

والمفارة الغريبة أنّ صاحب النعاج الـ(99) - كما في إيحاء النصّ - يرى أنّ من حقّه الاستيلاء على النعجة الواحدة لاستكمال ثروته الناقصة، للمخاطبة بلغة الجمع (فَاهْكُمْ بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ)، وكأنّ من حقّ الحكومات المستكيرة ودول الشمال أن تعيش في ثراء، وإنّ من نصيب دول الجنوب أن تعيش البؤس والفقر والحرمان!!

والشيء نفسه يُقال عن تنمية ثروة المرابي عندما يشترط على المدين أن يقرضه قرضاً بزيادة، في حين يقول الله تعالى: (يَمْحُقُ اللَّهُ بَمَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) (البقرة/ 276).. واستحياء من ذلك، ورد عن الإمام علي (ع) قوله: "ما جاع فقير إِلا بما مُتَّعَ به غنيّ" [5]، وحُكى أنّ امرأة عجوز ضعيفة كانت جاراً لغني ذي سلطة بنى داراً واسعة إلى جوار دارها الصغيرة، ولمّا أرادت أن يخصّص من مساحة البيت الواسعة للحديقة، فكّر في ضمّ حديقة جارته العجوز إلى حديقتها لتنبع، فلمّا طالبها بذلك وعرفت أنّ ليس بإمكانها أن ترفض لسلطتها وجاهه، سألته أن ينقل له كيساً مملوءاً من تراب حديقتها لتحتفظ به كذكرى، ولمّا ملأ الكيس وأراد حمله إلى بيتها عجز عن حمله، فقالت له: إذا كنت عاجزاً اليوم عن حمل كيس من تراب الحديقة، فكيف تستطيع غداً أن تحمل الحديقة كلّها؟! وقصة العجوز الفقيرة مع الغنيّ المتسلّط هي قصة الحياة وصراع الفقراء مع الأغنياء.

4- المال للسلولة والتداول والحركة والتبادل التجاري وتنشيط الفعاليات الاقتصادية، وليس من حق إنسان أن يحب ثروته عن التداول أو يحتكرها أو يُجمّدها لأنّه بذلك يُضيق أحد سبل النشاط

التجاري أو المالي أو الاقتصادي، وَالْعَالِي ينهى عن تجميد الثروة واكتنازها، قال تعالى: (وَالْمَذْنَى يَكُونُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْهِقُونَهَا فِي سَبَيلِ الْفَبَشَرِ هُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ) (التوبه/ 34)، وقال جل جلاله: (مَا أَفَاءَ إِنَّ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلَتَلَمَّهُ وَلَلَّهُ الرَّسُولُ وَلَدِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ وَاتَّقُوا إِنَّ إِنَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر/ 7)، وفي الأمثال اللاتينية: "من الحماقة أن تدخل، إذا كنت تجهل لمن تدخل" [6].

5- المال بحد ذاته ليس قيمة تفاضلية أو معيارية، وشهاد القرآن وقصصه في ذلك كثيرة، تأمّل في معاني وأبعاد أقواله تعالى في اعتبار الغنى سبباً للخلود: (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْتَدَهُ كَلَّا لَيُنْبَذَنْ فِي الْحُطَمَةِ) (الْهُمَزة/ 3-4).

وعن ثروة أبي لهب المسخرة لمحاربة النبي (ص): (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) (المسد/ 2).

وفي عجز المال عن دفع الموت: (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ كَفَرُوا أَرَمَّا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَا زُفْسَاهُمْ إِنَّهُمْ لَيَزِدُونَ إِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (الحاقة/ 28-29).

وفي تصور أنّ اتساع الثروة يعني اتساع الحظوة عند الله: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الْمَذْنَى كَفَرُوا أَرَمَّا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَا زُفْسَاهُمْ إِنَّهُمْ لَيَزِدُونَ إِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (آل عمران/ 178).

وفي قصة الطالم لنفسه صاحب الجنتين (البساتين) والفقير المؤمن، درس قرآني في التفريق بين ما هو (قيمة) بذاته، وما هو ليس بقيمة في ذاته، يقول تعالى: (وَاصْرِبْ لَهُمْ مَذْلَلٌ رَجْلَيْنَ حَعَلَنَا لَا حَدَّهُمَا جَنَّتَيْنَ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَنَاهُمَا بِنَحْلٍ وَجَعَلَنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كَتْوَنًا الْجَنَّتَيْنَ آتَتْ أُكُلَّهُمَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُمْ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خَلَالَهُمَا زَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُخَافِرُهُ أَرَاهُ أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعْزَزُ زَهَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ طَالِمٌ لِنَفْسِهِ فَقَالَ مَا أَطْعُنُ أَنْ تَبْيَدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَطْعُنُ السَّاعَةَ فَائِمَةً وَلَئِنْ

رُدِّدْتُ إِلَيْ رَبِّي لِأَجْدَنْ خَيْرًا مُنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ مَا حَبُّهُ وَهُوَ
يُحَارِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالْذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ
رَجْلًا * لَكِنَّا هُوَ إِلَهُ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ إِلَّا قُوَّةً إِنَّ تَرَانَ أَنَّا أَقْلَمَ مَنْكَ مَالًا
وَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا
حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَاعِدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَأْوِهَا غَوْرًا
فَلَانَ تَسْتَطِعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحْبِطَ بِثَمَرٍ فَمَا صَبَحَ يُقْلِبُ كَفَيْهُ عَلَى
مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكَ
بِرَبِّي أَحَدًا) (الكهف/ 42-32)، ومن هنا ورد في الحديث الشريف: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يكون أَغْنِي النَّاسِ،
فليكن بما في يدِهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا في يده" [7].

المال إذاً لا يشتري السعادة، ولا الصحة، ولا السكينة، ولا الأصدقاء الحقيقين؛ لكنه وسيلة من الوسائل العديدة لتحقيق ذلك، ويوصي لقمان الحكيم ولده فيقول له: "يا بُني، عليك بطلب العلم، وجمع المال، فإن الناس طائفتان: خاصة وعامة، فالخاصة تكرمك للعلم، وال العامة تكرمك للمال. يا بُني، شيئاً إذا أنت حفظتهما لا تبالي بما صنعت بعدهما: دينك لمعاذك، ودرهمك لمعاشك" [8].

[1] - الطريق إلى السعادة، لـ رون ها برد، ص 91-92.

[2] - جواهر العقول، وصال حمقة، ص 571.

[3] - جواهر العقول، مصدر سابق، ص 574.

[4] - جواهر العقول، ص 574.

[5] - جواهر العقول، ص 575.

[6] - المصدر نفسه، ص 571.

[7] - جواهر العقول، ص577.

[8] - المصدر نفسه، ص571.